الفصل الرابع

مدخل إلى القدرات العقلية

طبيعة العقل ووظائفه :

إذا كان العقل في الفلسفة اليونانية يشكل مثلا أعلى للفكر والسلوك، وظيفته السعي إلى بلوغ معرفة تأملية شمولية للكون والإنسان، غايتها تحقيق التناسق والانسجام في العالم. فإنه (أي العقل) مع الفلسفة الحديثة قد فقد طابعه الكوني، ولم يعد موضوعا للتأمل والإنبهار، بل أصبح ذاتيا، كأداة أي كقدرة فكرية ومنهج عملي من أجل معرفة العالم قصد السيطرة عليه باستغلاله وتطويعه.

إذن كيف يمكن بلوغ هذا "العقل– الأداة" من أجل تسخير العالم؟ وبعبارة أخرى هل العقل فطري طبيعي في الإنسان أم ثقافي مكتسب؟

نحن أمام اتجاهين: الإتجاه العقلاني (العقل فطري) والإتجاه التجريبي (العقل مكتسب).

١) الاتجاه العقلاني:

العقل فطري في الإنسان، فالناس متساوون في امتلاك العقل، بإمكانهم التمييز بين الحق والباطل، ولكنهم مختلفون في طرق استخدامه، من أجل بلوغ المعرفة اليقينية.

يشكل العقل عند ديكارت المصدر الأساسي للمعرفة اليقينية، فهو يشتمل على أفكار فطرية واستعدادات أولية ومبادئ قبلية سابقة على كل تجربة،

كالمبادئ المنطقية والرياضية (مثال فكرة الكل أكبر من الجزء...) وفكرة الكوجيطو نفسها تتحقق بالبداهة العقلية. لذلك فمحتويات العقل قبلية تتميز بصفة الضرورة والشمول والوضوح والتميز بعكس المعرفة الحسية تستند إلى الحواس التي قد تخدع أو تخطئ، وبالتالي تنتج معارف جزئية وعرضية ومشتتة .

٢) الاتجاه التجريبي:

– العقل مكتسب

ينكر جون لوك وجود مبادئ وأفكار فطرية، حيث يؤكد أن العقل صفحة بيضاء، ليس فيها شيء سابق على التجربة. فالعقل إذن لايعمل إلابعد أن تتوفر له معطيات التجربة، بوصفها الموارد التي لا تغنى عنها لكي يمارس العقل نشاطه، من هنا يمكن القول بأن محتويات العقل بعدية .

فالعقل لايكون متساويا بين الناس، بل مختلفا باختلاف التجارب الشخصية. لذلك فالعقل غير فطري في الإنسان، وليس مستودعا لحقائق خالدة ومطلقة وثابتة، بل هو مكتسب يشكل وعاء لمعطيات التجربة الحسية.

العقل فطري ومكتسب :

انتقد كانط الأطروحتين الأحاديتين (العقلانية والتجريبية) لكونهما ينظران إلى العقل من زاوية واحدة، فالعقل لايشتمل فقط على الاستعدادات والمعارف الأولية القبلية السابقة على التجربة كما يدعي العقلانيون. ولايمكن الإقتصار أيضا على الإحساسات والإنطباعات الحسية كما يزعم التجريبيون، لهذا جاء كانط

بنظريته التوفيقية، ووضعنا أمام نظرية للمعرفة تفحص قدرات العقل كملكة للمعرفة، والتي تشمل ثلاث قدرات أو وظائف (الحساسية – الفهم – العقل الخالص)

حدود العقل :

تكمن فعالية العقل في ارتباطه بالتجربة، حيث يمكن أن نطبق عليه مقولات الفهم. أما ما يتعالى على التجربة، وهو موضوعات الميتافيزيقيا، فليس بمقدور العقل الخالص أن يتوصل بصددها إلى معرفة أكيدة. وإنما ينتج فقط آراء متعارضة، حيث يصير العقل جداليا وسجاليا، ذلك أن المجال الوحيد الذي يمكن للعقل أن ينتج فيه معرفة يقينية هو المجال التجريبي العملي (ارتباط العقل بالتجربة)، والمجال العلمي الأخلاقي (ارتباط العقل بالأخلاق).

لقد أعاد كانط تأسيس العقلانية الحديثة على أسس صلبة، وأحدث ثورة في مجال الميتافيزيقيا ونظرية المعرفة. فربط العقل بالتجربة يجعله أكثر انسجاما مع الروح العلمية التجريبية التي أخذت تسود أوربا في العصر الحديث، عكس ديكارت والفلاسفة العقلانيين والوثوقيين الذين اعتقدوا في القيمة المطلقة للعقل أحد أصنام الفلسفة العقلانية.

العقل المنغلق والعقل المنفتح :

نظرت الفلسفة الكلاسيكية – من أرسطو إلى كانط – إلى العقل كنسق تام وثابت، لكن الإكتشافات العلمية الحديثة والمعارف المعاصرة دفعت الفلسفة

المعاصرة إلى إعادة النظر في مبادئ العقل الكلاسيكي. وهكذا تحول العقل من مفهومه المطلق المنغلق – الذي يحتوي مبادئ ثابتة – إلى مفهوم نسبي منفتح على الواقع والتاريخ.

كيف يتحدد العقل إذن: هل بوصفه كيانا صوريا ثابتا (منغلقا) أو بوصفه بناء ديناميا (منفتحا)؟

- العقل المنغلق (العقلانية الكلاسيكية) :

تناولت العقلانية الكلاسيكية – من أرسطو إلى كانط – العقل بوصفه بنية صورية ثابتة منغلقة حول قواعدها، أي جوهرا أو كيانا متعاليا انطلاقا من المبادئ التي اعتبرت مطلقة خالدة ومتأصلة فيه . وكان أرسطو هو أول من أرسى تلك القواعد والمبادئ .

موقف أرسطو:

حدد أرسطو مبادئ العقل، واعتبرها مطلقة وثابتة، وهي كالآتي:

- مبدأ الهوية: وهي أن الشيء هوهو دائما مطابقا لذاته .
- مبدأ عدم التناقض: وهي أنه لا يمكن للقضية ان تكون هي وليست هي في نفس الوقت ، لا يمكن للعقل أن يثبت قضية وينفيها في نفس الآن .
- مبدأ الثالث المرفوع : وهي أن القضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة، ولا وساطة بين الصدق والكذب.
- مبدأ السبب الكافي: وهي أنه من وراء كل واقعة سببا فاعلا.

- انطلاقا من هذه المبادئ تأسس العقل، واعتبر جوهرا ثابتا مكتفيا بذاته ذا طابع منغلق ومطلق.

وهناك سمة طبعت الموقف الديكارتي، وهي اعتبار العقل فطريا، حائزا على معارف فطرية سابقة على التجربة. ونتيجة امتلاك العقل لمبادئ ثابتة وقارة نشأت أفكار فطرية (كفكرة البداهة، فكرة الكل أكبر من الجزء ...)

ويرى كانط بأن العقل يحتوي على مقولات باعتبارها أطرا قبلية منظمة للتجربة (كمقولة الوحدة والكثرة والسببية...) وهي مقولات اعتبرت أساسا عقليا ثابتا.

إن العقلانية الكلاسيكية (مع أرسطو وديكارت وكانط وغيرهم...) تنظر إلى العقل نظرة إطلاقية، أي كجوهر ثابت يحتوي مبادئ موجهة غير قابلة للتغيير أو الانفتاح. إن السمة الثابتة، والإطلاقية للموقف العقلاني الكلاسيكي سيتم مراجعتها مع اتجاهات عقلانية حديثة ومعاصرة، حيث ستوضع القواعد والمبادئ المطلقة موضع سؤال ونقد.

- العقل المنفتح (العقلانية المعاصرة):

إن تقدم العلوم وتطور المعارف، دفع بالفلسفة إلى إعادة النظر في مفهومها للعقل، فمع الفيزياء الكوانطية لم يعد بالإمكان الحديث عن المبادئ المنطقية الثابتة للعقل عند أرسطو كمبدأ الهوية، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، ومبدأ السببية. ومع تطور الرياضيات تم هدم مفهوم البداهة المؤسس لعقلانية ديكارت. كما أن تقدم الفيزياء أثبت نسبية المقولات الكانطية.

لقد كان من نتائج هذه المراجعات بروز عقلانية دينامية منفتحة أعادت النظر في مبادئ العقل وتصوراته، قصد استيعاب المعارف والوقائع الجديدة.

أ – العقل هو روح التاريخ :

العقل ليس كيانا مجردا ثابتا معزولا عن الواقع، بل هو قوة لا متناهية محركة للتاريخ والعالم ، وما التاريخ إلا مسار العقل خاضع لتطور جدلي عقلاني. فالعقل إذن يتطابق مع التاريخ، لذلك فهو نسبي دينامي متقلب. ينتقد هيجل التصور التقليدي الذي يعتبر العقل ماهية مطلقة ثابتة خالدة موضوع تمجيد وانبهار.

ب – موقف باشلار:

العقل – حسب باشلار – ليس واحدا وثابتا، بل متعددا ومتنوعا بحسب تعدد وتنوع المجالات المعرفية من رياضيات و فيزياء... وهو فضلا عن ذلك بناء متغير منفتح يساير تحولات المعرفة والواقع، وظيفته يقول باشلار: (هي إثارة أزمات. وأن عقل المناظرة (السجالي) الذي اختصه كانط بمنزلة ثانوية، لا يمكن أن يمضي في ترك العقل المعماري ينعم في تأملاته).

وفي خضم حوار العقلانيتين الكلاسيكية والمعاصرة – حول تحديد بنية العقل بين بنية صورية ثابتة منغلقة حددت مبادئها وأسسها، وبنية دينامية منفتحة تساير تحولات المعرفة والواقع – ظهرت نزعات لا عقلانية تنتقد العقل وتزيل الفوارق والحدود بين العقلي واللاعقلي في الإنسان.

العقل واللاعقلي :

يتحدد العقل في العقلانية الكلاسيكية في مقابل الحس والخيال والوهم والخطأ والهوى والغزيرة والفوضى والصدفة والخوارق ... ، من حيث أنها مظاهر لاعقلية. لكن الفلسفة المعاصرة أعادت الاعتبار إلى ما كان يعتبر خارج العقل (لاعقليا). واعتبرته من مكونات العقل نفسه وضمن بنيته .

١. هل يتحدد العقل فعلا في مقابل أضداده أم يمكن اعتبار اللاعقلي عقليا؟
٢. كيف يمكن للعقل أن يتحول إلى لاعقل؟

- نظرة على العقلانية الكلاسكية:

حددت العقلانية الكلاسيكية من أرسطو إلى ديكارت الإنسان بأنه كائن عاقل، وهي بهذا التحديد تكون قد جزأت الوحدة المتكاملة للإنسان، وغلبت العقل فيه على اللاعقلي، بعدما تصورت هذا العقل منفصلا عن أضداده حيث يأخذ معنى موضوعيا، يتقابل فيه العقل بمعناه المنطقي مع الحس والخيال، وبمعناه المعياري مع الهوى والغريزة.

وبتحديد العقلانية الكلاسيكية للإنسان بأنه كائن عاقل، تكون قد حددت ماهو سام في الإنسان، وأقصت ما اعتبرته منحطا فيه. وضد شمولية هذا العقل الكلاسيكية، وضد النزعة الإختزالية التي تذيب الفروق بين الذوات الإنسانية وتحولها إلى تجريدات، نشأت نزعات لاعقلانية تستبدل بالعقل الموحد والمجرد الشامل المهيمن ماهو لاعقلي في الإنسان.

- النزعات الفلسفية اللاعقلانية:

إن نزعة نقد العقل هي إحدى المظاهر المميزة للفلسفة المعاصرة، وإذا كان العقل بمبادئه هيمن لمدة طويلة على الفلسفة الكلاسيكية، واعتمد على مبادئ اعتبارها أزلية، إلا أن مساره التاريخي قاده إلى اللاعقلانية، حيث إعادة الاعتبار إلى ما كان يعتبر خارج دائرة العقل، وإبراز التداخل الموجود بين العقل واللاعقلي: فالعقل يتحول إلى لاعقلي، واللاعقلي من مكونات العقل نفسه.

أ – نيتشه وفلسفة نقد العقل:

يقول نيتشه (المفكر هو الكائن الذي يتصارع فيه الميل إلى الحقيقة، مع تلك الأخطاء التي تحفظ الحياة) .

يرى نيتشه أن الإنسان المفكر المستعمل للعقل يميل إلى الإعتقاد بأنه ينتج الحقيقة، والحال أن هذه الحقائق العقلية إن هي إلا أخطاء وأوهام ثبت نفعها في معركة الصراع من أجل البقاء(العقل قوة لحفظ الحياة).

ويعتبر نيتشه نموذجا للفلسفات المعاصرة التي مارست النقد على العقل الذي هيمن لمدة طويلة على الفكر الفلسفي، لذلك اعتبر أحد أصنام الفلاسفة. فثقتهم في العقل جعلتهم يعيشون في أوهام، يعتقدون في شمولية وإطلاقيته، في حين أننا لسنا أمام عقل واحد ، بل عقول كثيرة موجودة في الذوات الفردية ونادرا ماتستخدم في معركة الحياة.

ب – فرويد (الكشف عن معقولية الأحلام والظواهر المرضية) :

يقول فرويد (عندما نفترض إمكانية تفسير ظاهرة ما، فهذا معناه الإقرار منا بأنها تتضمن قدرا من المعقولية).

إذا علمنا بأن فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي قد كرس حياته العلمية لتفسير ظواهر مثل الأحلام والحالات المرضية (العصابية والفصامية)، حيث كشف عن شروط إنتاجها. معنى ذلك أنها تحتوي درجات من المعقولية. ومن تم يمكن اعتبار دراسة الأحلام مثلا وسيلة لاغنى عنها لفهم الحياة النفسية للفرد. فالحلم ليس سوى إشباع رمزي لرغبة أو دافع لاشعوري لم يتحقق خلال اليقظة. ومعقولية الحلم إذن تكمن في قدرته على تفسير الشخصية.

ج- كرانجي (كشف عن معقولية الأهواء والعواطف) :

يقول كرانجي (إن لاعقلانية الهوى لا تعني البتة عدم التماسك، فقد يكون سلوك الهوى منطقيا تماما. ومعقولا في ذاته بالنظر إلى أهداف التي يتوخاها).

ويرى كرانجي أن الأهواء لاتقصي العقل، بل تستخدمه بشكل مفرط في الدقة والصرامة والذكاء. فالخيال والعاطفة والوجدان تنتج روائع إبداعية لا تقل أهمية عن إبداعات العقل المنطقي العلمي، ويظهر ذلك في مجالات الفن المختلفة من رسم وموسيقى وشعر...

د- هربرت ماركوز (الكشف عن معقولية الإشباع الغريزي) :

يقول ماركوز (في ما وراء مبدأ المردودية، فإن إشباع الغريزة، يتطلب مجهودا واعيا للمعقولية الواعية يزداد بمقدار ما لا يكون مجرد منتوج ثانوي أو فرعي للمعقولية المفروضة بالقمع) .

إن الخاصية القمعية للعقل لاترجع إلى طبيعة العقل ذاته، وإنما إلى استعمال اجتماعي مرتبط بالسيطرة والهيمنة والتحكم والكبت سعيا إلى المردودية والإنتاجية كمبادئ لحضارة وهمية. بيد أن مفهوم الحضارة الحقيقي، حسب ماكوز، يقتضي الإستجابة لمعقولية الإشباع، وأن يكون العقل في خدمة الغريزة بدل ممارسة القمع والتصعيد عليها.

وجهات نظر حول القدرة العقلية:

لا شك ان مفهوم القدرة العقلية، يعد مصطلحا حديث الظهور (نسبيا) ، فقد نشأ هذا المفهوم في ميدان علم النفس التطبيقي ، وكان في نهاية القرن التاسع عشر متصلا بالدراسات التجريبية، وفي بداية القرن العشرين، ظهر في فرنسا مرتبطا بقياس الذكاء في أبحاث العالم"الفرد بينه" ثم تطور على يد العالم الانجليزي"تشارلز سبيرمان" الذي رفض مصطلح"الذكاء" لأنه يحمل الكثير من المعاني، وقام باستبداله بمصطلح"العامل العام" الذي يعبر عن الطاقة العقلية العامة التي تهيمن على جميع النشاطات العقلية الأخرى، وذلك حسب مقتضيات نظريته المعروفة بـ"نظرية العاملين".

ويتفق معظم علماء النفس على التعريف الاجرائي للقدرة العقلية،باعتبار انه ما ينتج عن الأداء العقلي، كالقدرة العددية ، والقدرة الابتكارية،حيث يرى العالم"فيري وارن" ومعه"بينجهام" ان القدرة العقلية هي"القوة على أداء الاستجابة،وتشتمل على المهارات الحركية،كما تشتمل على حل المشاكل العقلية" . وهو ما يعني التخلص من المفهوم الفلسفي للقدرة العقلية، واعتبار الاستجابة موقفا مشخصا لهذه القدرة من حيث ان الاستجابة لا يقوى عليها الفرد إلا بفضل هذه القوة الواعية.

كما اعتبر العالمان المذكوران، ان الاستجابة لا تخلو من هذه القدرة او القوة التي تتجلى فيها القدرة العقلية. والواقع انه اذا كنا لا نجهل أهمية الوعي في سلوك الفرد الاصطفائي، فإننا لا نستطيع اعتبار ان كل الاستجابات هي استجابات واعية، والسبب في تبني هذه الرؤية يعود الى ان الرجلين(وارن – وبينجهام) كانا ينتميان للمدرسة السلوكية التي بنيت نظريتها النفسية على عاملي المنبه(المثير) والاستجابة.

أما العالم"ثرستون" فيرى ان القدرة العقلية هي صفة يحددها سلوك الفرد،أي بمعنى أنها صفة تتحدد بما يمكن ان يؤديه الفرد او ما يقوم به". فهي(القدرة العقلية) صفة تظهر نتيجة لأداء معين ، وبهذا فإنها تمثل سلوكا ظاهريا يمكن ملاحظته وبالتالي قياسه.

وجاء ضمن تعريفات معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن : القدرة العقلية تعني مقدرة الفرد العقلية على إنجاز عمل ما او التكيف في العمل بنجاح.. وهي تتحقق بأفعال حسية او ذهنية، وقد تكون فطرية او مكتسبة (عن طريق التعلم)، كما ان هناك قدرات عامة، وهي تمثل عامل مشترك بدرجات متفاوتة مع جميع القدرات الخاصة او مع مجموعة منها".

ويتضح من خلال التعاريف السالفة الذكر للقدرة العقلية، ان هناك اختلافا بين الباحثين في تحديدهم لهذا المصطلح، فبعضهم لا يفرق بينه وبين الاستعداد، والبعض الآخر يربطه بالتصنيف وان هذه الاختلافات ترتبط باتجاه الباحث ومنهجه في البحث. فتعريف العالم فيليب فرنون(القدرة العقلية تعني وجود طائفة من الأداء الذي يرتبط بعضه ارتباطا عاليا، ويتمايز الى حد ما كالطائفة مع غيره من التجمعات الأخرى للأداء ، أي ارتباطه بالطوائف الأخرى) يلاحظ انه مرتبط ارتباطا وثيقا بنظريته في البنية العقلية المتمثلة في نظرية"التنظيم الهرمي" التي تقول بالذكاء العام..فالعوامل الطائفية الكبرى تليها العوامل الطائفية الصغرى..الخ.

وتتلاقى التعاريف السابقة، على ان القدرة العقلية ترتبط بالأداء،غير ان البعض منها قد وقع في الخلط بين الاستعداد والقدرة،وهو ما يعني انه لا فرق بين الاستعداد والقدرة إذا كان المقصود بالتدريب عملية (التعليم) بمعناها الواسع، وبالتالي تفاعل الفرد مع بيئته.أما قبل التدريب، فان القدرة العقلية تبقى مجرد استعداد يميل الى الجانب الفطري، وبهذا يظهر الفرق بين القدرة والاستعداد.

ومن جانبه قدم الباحث فؤاد البهي السيد حلا لهذه الإشكالية، حين اعتبر ان الأداء العقلي "هو القدرة العقلية، والأداء المزاجي.. وان الانفعال هو سمة شخصية، والأداء الحركي هو المهارة اليدوية" .

الملكة العقلية.. وكيفية تنميتها:

الملكة العقلية هي قوة عقلية او فكرية او شعورية او إرادية، تعتمد أساسا لتفسير الظواهر العقلية، وكان ينظر لها في السابق على أنها إحدى قوى العقل البشري كالذكاء او الإرادة. وتفسر عن طريق عملها وتفاعلها مع جميع الظواهر العقلية، إلا ان علماء النفس عدلوا عن هذا الرأي.

وقد بنيت هذه النظرية بالأساس على التأملات الفلسفية منذ أيام ارسطو، بالإضافة الى التفسيرات الفرضية التي كانت تقسم الدماغ تشريحيا ووظيفيا الى أقسام منفصلة يسفر كل منها عن إحدى نواحي النشاط العقلي كملكة التذكر،وملكة الانتباه، وملكة التخيل وغيرها من الملكات الأخرى .ونتيجة لهذا المفهوم او التفسير للعقل البشري،ظهرت نظرية"التدريب الشكلي" التي ترى انه من أجل تنمية ملكة من الملكات يجب توافر الشروط الضرورية لتدريبها، وكان هذا التدريب يعتمد على المواد الدراسية،حيث انه من أجل تكوين ملكة التذكر(مثلا) ينبغي اختيار المواد الدراسية التي تنمي هذه الملكة، كالمحفوظات وغيرها من المواد التي تعتمد على الحفظ، وكذلك لتنمية ملكة التفكير لا بد من تدريس مادة الرياضيات، ويجب ان يكون المنهج الدراسي حسب نوعية الملكات المراد تدريبها

وتنميتها لدى الفرد المتعلم. أما دوافعه واهتماماته، فم يكن لها اعتبار،ولذلك برز منهج المواد الدراسية المنفصلة في التربية والتعليم انطلاقا من اعتبار ان كل ملكة منفصلة عن الأخرى. وبالتالي كانت المواد الدراسية منفصلة أيضا عن بعضها البعض كالرياضيات ، والقراءة، والمحفوظات، والعلوم..الخ.

لقد ارتكزت هذه النظرية على فروض منطقية من حيث التناسق والبناء، التي يمكن حصرها في النقاط التالية:

١. ان السلوك يتأثر بمجموعة من الملكات العقلية المستقلة عن بعضها البعض، كالتفكير والادراك والتذكر ..الخ.
٢. ان الملكات العقلية يمكن تنميتها من خلال تدريبها على أنواع معينة من التمارين.
٣. ان أثر التدريب الخاص بالملكات العقلية،ينتقل الى كل نواحي الحياة المتعلقة بكل ملكة على حدة.
٤. هناك ضرورة لوضع مناهج لتدريب الملكات العقلية في أوساط الطلاب دون النظر لرغباتهم واهتماماتهم،مثل ان دراسة المنطق والرياضيات ينمي القدرة على التفكير، وان دراسة اللغويات ينمي أيضا القدرة على التذكر. أما دراسة العلوم التجريبية، فانه ينمي القدرة على الملاحظة .

لكن هذه النظرية واجهت انتقادات كثيرة، حيث أثبتت الأبحاث العلمية التي اجريت في موضوع القدرات العقلية، بطلان هذه النظرية، وخاصة بعد ظهور

منهج التحليل العاملي الذي يعتمد على تحليل مصفوفات معاملات الارتباط. وتتمثل الحقائق العلمية التي أثبتت بطلان نظرية الملكات العقلية،والتي أدرجها الباحث فؤاد البهي السيد في كتابه (القدرة العددية) في النقاط التالية:

- وجود تداخل بين النشاطات العقلية،وعدم انفصالها عن بعضها-كما تدعي النظرية المشار اليها- حيث انه اذا سلمنا(جدلا) باستقلالية الملكات وانفصالها عن بعضها البعض،فانه ينبغي ان يكون معامل الارتباط بين كل اختبار وآخر يقيسان ملكتين مختلفتين مساويا للصفر..لكن الدراسات الحديثة في القياس العقلي ترى انه لا يوجد معامل ارتباط مساويا للصفر بين اختبارين يقيسان جانبين عقليين مختلفين، بل يكون دائما ارتباطا جزئيا.
- ان أي اختبار لقياس ملكة كالتذكر(مثلا) ينبغي ان يكون له صدق مضمون، بحيث لا يقيس إلا ملكة التذكر فقط ، لكن الدراسات في القياس العقلي،ترى انه مهما كانت درجة صدق الاختبار عالية، فانه يقيس نواحي متداخلة.
- ان الملكات العقلية تعتمد على الاختبارات البسيطة التي تقيس فقط الجانب الذي صمم من أجله، بينما تعتمد عملية قياس القدرة على الاختبارات البسيطة والمعقدة معا،ولهذا فان مفهوم القدرة العقلية هو أعم من مفهوم الملكة العقلية، واذا كانت الملكات العقلية تميل الى تجزئة النشاط العقلي، فان مفهوم القدرة العقلية يميل الى التجميع، وهو بهذا يتفق ويتلاقى مع الإيجاز العلمي.

القدرات العقلية الخارقة :

تنبه الإنسان منذ فجر التاريخ إلى وجود ملكات ذهنية تكمن في جوهره . و قد ظهرت هذه القدرات جلياً عند المتصوفين و الأولياء و أصحاب البصيرة المشاهير ، الذين دربوها فانتعشت لديهم ثم راحوا ينجزون المعجزات ! و تبوؤا بها مناصب عالية على مرّ التاريخ . و بالإضافة إلى تعاليمهم و مسالكهم الروحانية المختلفة ، و التي تهدف إلى تنشيط النزعة الروحانية الأصيلة في جوهر الإنسان ، ظهرت من جهة أخرى تعاليم سحرية مختلفة تساعد الإنسان على استنهاض تلك القدرات الخفية ، لكن بالاعتماد على مفاهيم منحرفة لا أخلاقية هدفها هو استنهاض تلك القدرات فقط ، دون النظر في تهذيب الإنسان أخلاقياً أو توجيهه نحو أغراض إنسانية أصيلة .

لكن رغم هذا كله ، مرّت هذه التعاليم السحرية أيضاً بفترة انحطاط عبر العصور ، و سقطت إلى مستوى الدجالين و كهنة المعابد و المشعوذين . فأدخلوا إليها معتقدات و تقاليد و طقوس مختلفة عملت على انحراف هذه التعاليم و تشويه مبادئها الحقيقية و ابتعدوا بهذه العلوم السحرية عن الحقيقة تماماً . و لعبت تلك الطقوس القبيحة دوراً كبيراً في ابتعاد الناس عن هذا المجال ، فبغضها الناس و استبعدوا حقيقة وجودها و لحق العار بمن مارسها.! و كيف لا نحتقر تلك التعاليم السخيفة و طقوسها و شعوذتها الموروثة من عصور غابرة و التي أصبحت بالية و خالية من المصداقية ؟. كيف يمكن لأحدنا ، في القرن الواحد و العشرين ، أن يتعامل مع تعاليم و وصفات غير إنسانية و لا حضارية مثل عملية سلخ جلود

عشرة ضفادع من أجل صنع طاقية إخفاء ! أو رسم إحدى الأختام أو الطلاسم على ورقة و نقعها في كوب ماء و شربها من أجل تنشيط الذاكرة ! و غيرها من خزعبلات صنعها الدجالون والمشعوذون المزوّرون كيف يمكننا أن نتعامل مع تعاليم سحرية تستخدم الأختام و الطلاسم ، و إقامة الطقوس السحرية المختلفة ، و استخدام مصطلحات مثل : العصا السحرية ، المرآة السحرية ، ضرب المندل ، تحضير الأرواح و الشياطين ، و طرد الشيطان ، و التسخير و الاستخارة ... و غيرها من مصطلحات بالية تستند إلى مفاهيم قديمة طوى عليها الزمن و لم تعد ترقى إلى مستوى واقعنا العصري المتحضّر ؟.!

لكن في النهاية ، وجب علينا أن نعترف بحقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها . إن تلك المصطلحات التي استخدمت عبر العصور ، رغم مظهرها القبيح الذي لم يعد يناسب عصرنا الحالي ، إلى أنها تشير إلى جزء من حقيقة واقعية لكننا لم نفطن لها . لأنها تمثّل عالم آخر غير مرئي .. واقع آخر على المستوى ألجزيئي .. ليس عالم أرواح و أشباح و غيرها من كائنات خيالية .. بل عالم يملأه حقول طاقة مختلفة .. أشكال و مجسمات بايوبلازمية مختلفة الأنواع .. هذه الحقول و المجسمات تخفي في طياتها معلومات معيّنة يمكن استخلاصها و إدراكها عن طريق قنوات عقلية خاصة .

إننا أمام عالم أفكار و معلومات و رسائل خفية لا يستوعبها سوى عقلنا الخفي (العقل الباطن) الذي يتعامل معها و يتجاوب لها دون شعور منا بذلك ..

هذا العالم الغير مدرك ليس له حدود زمنية ثابتة .. يمكن أن ينحرف فيه الزمن .. فيمكن لمن يتواصل مع هذا العالم أن يتوجّه إلى الخلف أو الأمام و الحصول على معلومات ليس لها حدود .. هذا العالم الغير ملموس تختلف مفاهيمه تماماً عن تلك التي اعتدنا عليها و يتعامل العقل مع هذا العالم الغامض من خلال قنوات حسية خاصة يملكها الإنسان لكنه يجهل كيفية استخدامها و تنشيطها .. لأنه لم ينشأ على معرفتها .. فيستبعد حقيقة وجودها . خاصة بعد أن لطّخ هذا المجال بصورة قبيحة ارتبطت بالسحرة و المشعوذين و الدجالين . مما جعله محرّم من جميع السلطات ، الدينية و العلمية و الأمنية . مع أن الحقيقة هي غير ذلك . رغم أنه يشكّل مجال دراسة يكاد يكون الأنبل و الأكثر فتنة للقلوب . لأنه المجال الوحيد الذي وجب على ممارسيه أن يتصفوا بدرجة عالية من الروحانية و الصفاء الفكري و الزهد .. هذه شروط أساسية من أجل التواصل مع العقل الكوني . هذا الكيان العظيم الذي هو جوهر الإنسان . مصدر الإنسان و فناؤه.

ويمكن أن تتجلّى القدرات العقلية الخارقة بالمظاهر التالية :

١) الاستبصار:

وهو القدرة على رؤية أحداث أو أشياء أو أشخاص ، ليس بواسطة العين العادية ، إنما بحاسة داخلية يشار إليها ب"العين الثالثة" . هذه القدرة ليس لها مسافة محدّدة تلتزم بها ، فيمكن أن تتجلى برؤية شخص أو حادثة في غرفة

مجاورة ، أو رؤية شخص أو حادثة على بعد آلاف الكيلومترات ، لكن في كلا الحالتين ، هي عملية رؤيا خارجة عن مجال النظر العادي .

٢) الجلاء السمعي:

هو قدرة الحصول على معلومات عن أحداث أو أشخاص من خلال حاسة سمعية داخلية ، ليس لها علاقة بحاسة السمع التقليدية . و قد تأتي بشكل همسات محببة جميلة ، كألحان موسيقية أو أجراس أو غناء . و يمكن أن تأتي على شكل طرقات قوية على الخشب أو الحديد مثلاً ، أو صفّارة إنذار أو أي صوت مزعج آخر يعمل على لفت الانتباه. و أحياناً كثيرة ، بدلاً من أن يأتي الصوت من داخل الذهن ، يتجلّى بشكل واضح مما يجعله مسموع عن طريق الأذن ، فيبدأ الشخص بالالتفات حوله فلا يرى شيئاً . و لهذا الصوت مظاهر كثيرة ، فيمكن أن يتشابه لصوت الشخص المعني ، مع اختلاف في النبرات و السرعة و التعبير . و يمكن أن يكون صوت أشخاص آخرين . و قد تبدو نبرة هذا الصوت سلطوية أو تحذيرية أو تشجيعية، و يمكن أن يتخذ نبرة عاطفية حنونة ، أو نبرة عاقلة منطقية واقعية.

٣) الشعور باليقين من أمر معيّن :

هذه الحاسة هي الأكثر شيوعاً بين الناس . يمكن أن تتجلّى بظهور فجائي لجواب على سؤال معيّن (ذكرناها سابقاً) ، و يمكن أن يظهر كإنذار مسبق بحصول حادثة معيّنة أو خطر ما ، أو المعرفة المسبقة لنتيجة عمل ما . غالباً ما

يترافق مع هذا الشعور ، (خاصة قبل حصول شيء غير محبّب) ، انفعالات فيزيائية أو جسدية، كشعور غريب في منطقة القلب ، أو إحساس غريب في المعدة (البطن) ، أو تنميل الجلد (الشعور بوخزات خفيفة في الجلد) ، و غيرها من إحساسات جسدية مختلفة باختلاف الأشخاص . و قد تأتينا المعلومات في هذه الحالة على شكل فكرة عادية ، تخطر في الذهن بطريقة عادية ، كما باقي الأفكار ، و هذا ما يجعلنا نخلط بينها و بين الأفكار العادية ، فلا نعطيها أهمية بالغة لأننا نعتبرها كأي فكرة عادية أخرى .

٤) قدرة الإدراك بواسطة "الذوق" و "الشم " :

هذه القدرات هي الأقلّ شيوعاً بين البشر ، لكنها مشابهة لتلك التي عند الكلاب و الكائنات الأخرى.

٥) التخاطر و توارد الأفكار:

هي عملية انتقال الأفكار من شخص لآخر على المستوى اللّاوعي ، دون أن يشعران بذلك . أو على المستوى الواعي ، كعملية قراءة الأفكار ، أو التحكّم عن بعد (برمجة عقول الآخرين) .

٦) القدرة على إدراك عوالم أخرى :

هي القدرة على الإنتقال إلى عوالم غريبة ، أو رؤية كائنات غريبة ، خارجة عن منظومتنا الحياتية . و هذه الكائنات قد تشمل أشخاص فارقوا الحياة ، أرواح مرشدة ، ملائكة ، جنّ ، و كائنات أخرى .

٧) القدرة على استخلاص المعلومات من خلال الأشياء :

يمكن عن طريق حمل شيء معيّن في اليد ، استخلاص المعلومات عن هذا الشيء أو معلومات عن صاحب هذا الشيء ، مهما كان بعيداً . و قد تأتي هذه المعلومات بشكل انطباعات مرئية أو صوتية أو أفكار أو شعور مشابه لشعور صاحب الشيء.

٨) تجاوز حاجز الزمن:

هذه القدرات ليست محدودة ضمن حاجز مكاني أو زماني محدّد. أي أنه ليس لها مسافة محدودة ، كما رأينا . لكن بنفس الوقت ، فهي تجتاز الحاجز لزمني أيضاً . حيث يستطيع الشخص النظر إلى الأمام و الوراء في الزمن بنفس الوقت .

٩) الإدراك المسبق :

هو القدرة على معرفة حادثة قبل حصولها . و قد تتجلّى هذه القدرة أثناء الصحو ، أو النوم (الحلم) . و يمكن أن تتخذ أي شكل من الأشكال الإدراكية التي ذكرناها سابقاً .

١٠) الإدراك الإسترجاعي:

هو القدرة على معرفة معلومات تفصيلية معيّنة عن حادثة حصلت في الماضي ، دون الاستعانة بأي من الوسائل التقليدية المعروفة . و يمكن أن تتخذ أي شكل من الأشكال الإدراكية التي ذكرناها سابقاً.

١١) قدرة التأثير على الأشياء بواسطة الفكر:

هي القدرة على إحداث تغييرات في حالة الأشياء الفيزيائية بواسطة الفكر ، و تتجلّى هذه القدرة بجعل الأشياء ترتفع في الهواء أو تتحرّك من مكان إلى آخر ، أو حتى تختفي من مكانها و تظهر في مكان آخر! أو اختراق الجدران ، أو يمكن أن تتجلّى بالقدرة على إجراء تغييرات واضحة في محلول كيميائي معيّن ! أو غيرها من أمور و إنجازات مخالفة للقوانين الفيزيائية المألوفة.

١٢) الارتفاع في الهواء :

القدرة على الارتفاع عن الأرض دون الاعتماد على أي وسيلة فيزيائية معروفة القدرة على إحداث تغيرات بايولوجية و جسدية و التحكم بوظائف الأعضاء الجسدية و تجاهل الألم ، عن طريق الفكر، وتجلّت هذه القدرة في مذاهب صوفية مختلفة عند جميع الشعوب . و تتمثّل هذه القدرة بمظاهر مختلفة كالمشي على النار عاري القدمين أو غرس السيوف في أماكن مختلفة من الجسم أو التحكّم بوظائف الأعضاء الجسدية المختلفة كإبطاء عملية التنفّس أو ضربات القلب أو تقوية جهاز المناعة أو غيرها من وظائف جسدية أخرى ! كل ذلك عن طريق طاقة الفكر.!

نالت هذه الظواهر العقلية الغير مألوفة اهتمام رجال العلم البارزين منذ بدايات العصر التنويري في أوروبا ، بعد أن تحرر الفكر الإنساني من سطوة الكنيسة و رجالها . و نظر إليها لأوّل مرّة كموضوع بحث متحرر من التعاليم الصوفية و السحرية التي طالما التزمت بها بشكل صميمي . و أخضعت للبحوث العلمية و التجارب المخبرية المستقيمة ، و قد ظهرت مذاهب علمية كثيرة تتناول هذه الظواهر . كل مذهب ينظر إليها من زاويته الخاصة و المناسبة ، نذكر منها :

- مذهب التنويم المغناطيسي :

سنقوم بدراسة هذا المذهب العلمي منذ أن دخل إلى العالم الأكاديمي على يد الطبيب النمساوي فرانز أنتون ميزمر (١٧٣٤م ١٨١٥م) . ثم دراسات البروفيسور أليستون ، من جامعة لندن (١٧٩١م ١٨٦٨م). و الطبيب جيمس أسدايل ، مدير أحد المستشفيات الهندية في كالكوتا . (١٨٠٨م ١٨٥٩م) . و جيمس برايد (١٧٩٥م ١٨٦٠م) .

بالإضافة إلى علماء بارزين مثل : ليبالت ، غريغوري ، شاركوت ، ريشيه ، بيرنهايم ، غورني ، جانيت ، دي روكاس ، شرينك نوتزنغ ، ميلني ، براموبل ، بويراك، ألتروز ، و غيرهم من رجال علم شاركوا بدراساتهم المختلفة في كشف الستار عن خفايا الإنسان و قدراته الفكرية الهائلة.

- مذهب الأبحاث الروحية :

في العام ١٨٨٢م ، أسّست جامعة كامبردج البريطانية ، ما سميت ب"جمعية بحث القدرات الروحي . وكان أول رئيس لهذه الجمعية أحد الشخصيات المشهورة في المجتمع الأكاديمي ، هنري سيدغويك ، البروفيسور في الفلسفة الأخلاقية في جامعة كامبردج . و كان هدف هذه الجمعية كما جاء في التقرير الذي نشرته عام تأسيسها هو دراسة الظواهر الخارقة و الروحية المختلفة من غير أحكام مسبقة ، و بالروح الحيادية ذاتها التي مكّنت العلم من دراسة مختلف الظواهر الطبيعية الأخرى بشكل دقيق . و من نتائج هذا الاهتمام ، تم تأسيس "الجمعية الأمريكية للأبحاث الروحية " ، في ولاية بوسطن عام ١٨٨٥م ، وقد استقطبت أيضاً شخصيات لامعة في دنيا العلم مثل عالم النفس و الفيلسوف القدير وليم جيمس .

كان تأسيس هذه الجمعيات (بالإضافة إلى جمعيات تأسست في فرنسا و هولندا و ألمانيا و روسيا و غيرها من دول أوروبية أخرى) ، تعمل كدافع رئيسي للاهتمام بما نسميها اليوم بالظواهر الخارقة . حيث كانت الدراسات التي تقيمها هذه الجمعيات غير مكثّفة و كانت في الغالب تتخذ شكل المشاهدات و تسجيل مواصفات و ميّزات تلك الظواهر.

من أبرز رجال هذا المذهب : البروفيسور فريدريك مايرز ، البروفيسور أرثر جيمس ، البروفيسور هينري بورغسون ، البروفيسور س.د.برود ، البروفيسور بويد

كاربنتر ، البروفيسور وليلم كروكس ، البروفيسور هانز دريتش ، و غيرهم من رجال علم و كاديميين بارزين.

في العام ١٨٨٢م ، أسّست جامعة كامبردج البريطانية ، ما سميت بجمعية بحث القدرات الروحية . و كان أول رئيس لهذه الجمعية أحد الشخصيات المشهورة في المجتمع الأكاديمي ، هنري سيدغويك ، البروفيسور في الفلسفة الأخلاقية في جامعة كامبردج . و كان هدف هذه الجمعية كما جاء في التقرير الذي نشرته عام تأسيسها هو دراسة الظواهر الخارقة و الروحية المختلفة من غير أحكام مسبقة ، و بالروح الحيادية ذاتها التي مكّنت العلم من دراسة مختلف الظواهر الطبيعية الأخرى بشكل دقيق . و من نتائج هذا الاهتمام ، تم تأسيس "الجمعية الأمريكية للأبحاث الروحية " ، في ولاية بوسطن عام ١٨٨٥م ، وقد استقطبت أيضاً شخصيات لامعة في دنيا العلم مثل عالم النفس و الفيلسوف القدير وليم جيمس .

كان تأسيس هذه الجمعيات (بالإضافة إلى جمعيات تأسست في فرنسا و هولندا و ألمانيا و روسيا و غيرها من دول أوروبية أخرى) ، تعمل كدافع رئيسي للاهتمام بما نسميها اليوم بالظواهر الخارقة . حيث كانت الدراسات التي تقيمها هذه الجمعيات غير مكثّفة و كانت في الغالب تتخذ شكل المشاهدات و تسجيل مواصفات و ميّزات تلك الظواهر.

ومن أبرز رجال هذا المذهب : البروفيسور فريدريك مايرز ، البروفيسور أرثر جيمس ، البروفيسور هينري بورغسون ، البروفيسور س.د.برود ، البروفيسور

بويد كاربنتر ، البروفيسور وليلم كروكس ، البروفيسور هانز دريتش ، و غيرهم من رجال علم و كاديميين بارزين.

- مذهب الباراسيكولوجيا :

كانت الدراسات ، التي تناولها مذهب الأبحاث الروحية ، في بدايات دخولها إلى رحاب الظواهر الماورائية ، و لم يتمكن هؤلاء العلماء الروّاد من التمييز بين القدرات الفكرية و الظواهر الماورائية المختلفة ، و لم يتوصّلوا إلى تلك التصنيفات التي نعرفها اليوم . فكانت دراساتهم تشمل :

التخاطر – التنويم المغناطيسي – الحساسية الإدراكية – سماع أصوات أو مشاهدات لكائنات غريبة – التعامل مع الأرواح – معرفة أحداث ماضية أو غيبية. هذه الدراسات لم تتخذ شكلاً مختلفاً (أكثر تقدماً) إلا بعد حولي أربعة عقود .

في العام ١٩٢٧م ، انتقل عالم النفس الاجتماعي وليم مكدوغل إلى جامعة ديوك في ولاية كارولاينا الشمالية ، ليصبح رئيساً لقسم علم النفس فيها . و انتقل إلى القسم نفسه عالم بيولوجيا النبات المعروف جوزيف راين ، الذي يعدّ المؤسس الحقيقي لعلم "الباراسايكولوجيا" ، فقام راين و زوجته لويزا الدكتورة المعروفة ، و البروفيسور ماكدوغل ، بدراسة ظواهر القدرات العقلية بشكل مكثّف ، و أدّت

جهودهم إلى إنشاء أول مركز أبحاث تجريبية للدراسات الباراسيكولوجية في العالم ، و هو مختبر الباراسيكولوجيا في جامعة "ديوك" عام ١٩٣٤م . و منذ ذلك الوقت استمرّت و تكثّفت الدراسات حول ظواهر فكرية مختلفة ، على المستويين النظري و التجريبي .

وأصبح هناك الآن ، العشرات من الجمعيات و المختبرات العلمية و الأكاديمية في مختلف أنحاء العالم ، تهتم بدراسة مختلف الظواهر الباراسيكولوجية ، و قد توصّلت هذه المختبرات إلى اكتشاف حقائق كثيرة لها أهمية بالغة في خدمة الإنسان و البيئة و غيرها من استخدامات إنسانية أخرى ، لكن للأسف الشديد ، معظم هذه الحقائق الجديدة لازالت سريّة ، لأسباب كثيرة استراتيجية أو عسكرية أو حتى دينية أو أيديولوجية، أو غيرها من أسباب سخيفة لا ترتفع إلى مستويات إنسانية و أخلاقية حقيقية.

- العلوم الوسيطية الاستراتيجية التي انبثقت من الاتحاد السوفييتي :

أدّت التسريبات التي حصلت في الستينات من القرن الماضي إلى كشف الستار عن الآلة الوسيطية العملاقة التي نشأت داخل الستار الحديدي . و الذي ميّز العلوم السوفيتية عن العلوم الوسيطية الغربية هو أن السوفييت كانوا يبحثون في سبل الاستفادة منها لمآربهم الاستراتيجية المختلفة . بينما العلوم الوسيطية الغربية كانت لاتزال تقيم أبحاث و دراسات مختلفة و تبذل جهود مضنية ، ليس

من أجل الاستخدام بل من أجل إثبات هذه الظواهر التي واجه الباحثون فيها معارضة شرسة من قبل المؤسسات الدينية و العلمية على السواء.

فلم ترقى البحوث الغربية إلى مستوى البحث في طريقة استخدام هذه القدرات ، بل كانوا لازالوا في مستوى محاولة إثبات وجودها !. و هذا الذي جعل روسيا تسبقهم و تتقدّم عنهم في هذا المجال مسافة نصف قرن تقريباً !. من أهم الرجال الذين شاركوا في إنشاء هذا المذهب العلمي (المنافي تماماً للفكر الشيوعي السائد في حينها) بيرنارد بيرناردوفيتش كازينسكي ، فلاديمير بكتيريف ، ليونيد فاسيلييف ، الذين يعدون من المؤسسين الأوائل لهذا المذهب العلمي الذي أصبح سري لخطورته الاستراتيجية . و جاء بعدهم علماء سوفييت آخرون برزوا في هذا المجال لكن أسماء معظمهم لازالت مجهولة.

- العلوم الروحية الحديثة :

الأمر الذي يميز هذه العلوم عن منافساتها هو أنها أقرب للروحانية و التصوّف من تلك التي تناولها العلماء العلمانيين . أصول هذه العلوم عريقة جداً بالإضافة إلى تعدد مذاهبها و مظاهرها المختلفة حول العالم و عبر التاريخ . أشهرها هي علوم اليوغا الهندية و التشيكونغ الصينية و الزن اليابانية و غيرها من مسالك فكرية مختلفة. لكن العلوم الروحية الحديثة اتخذت منحى أكثر علمانياً و بدأت تعتمد على أسس و مفاهيم علمية بحتة . أشهر تلك المذاهب الروحية الحديثة هي تلك التي أسسها الروحي الهندي الكبير ماهاريشي ماهيش يوغي .

وضع ماهاريشي أسس علمية لتكنولوجيا جديدة سماها تكنولوجية الفيدا . و يقول أن هذه القوانين العلمية تتوافق تماماً مع قانون الطبيعة الاصيل و ليس القوانين المزورة التي ابتكرها المنهج العلمي السائد . تعتمد هذه التكنولوجيا على الطاقة العقلية وليس سواها . فيستطيع الإنسان بعد السيطرة على طاقته العقلية أن يتحكم بقانون الطبيعة و من ثم توجيهه و تحريفه كما يشاء . أما الطريق الذي وجب سلوكه كي يصل إلى هذه المرحلة العقلية المتطورة فهو ما أسماه بالتأمّل ألتجاوزي . فيصل بعدها إلى مستويات رفيعة من حالات الوعي مما يجعله يتحد مع المجال الكوني (الوعي الكوني) ، فيسيطر بعدها على قانون الطبيعة الحقيقي و يتحكم بمجرياته كما يشاء.

- الطيران اليوغي :

إحدى القدرات التي يظهرها تلاميذ هذه التكنولوجيا الجديدة . هذه التمارين العقلية ليست معقدة كتلك التي جاءتنا من العصور القديمة (اليوغا مثلاً) بل سهلة جداً حيث يمكن لأي شخص ممارستها مهما كانت مستوياته العقلية أو الروحية أو الثقافية أو غيرها ... و قد تمكن حوالي مئة ألف شخص حول العالم من إتقان هذه القدرة العجيبة على الارتفاع في الهواء.

وقد تم التأكد من صحة هذه التكنولوجيا علمياً و تأثيرها الإيجابي على ممارسيها ، بعد إقامة أكثر من خمس مئة بحث و دراسة مختلفة من قبل ٢١٤ جامعة و مؤسسة من ٣٣ دولة حول العالم . و قد تناولتها أكثر من ١٠٠ مجلة

علمية رسمية ، و جميع هذه الدراسات و الأبحاث توصلت إلى نتيجة واحدة فحواها أن هذه التكنولوجيا لها أثر إيجابي على جميع مجالات الحياة ، الفيزيائية و النفسية و البيئية و الاجتماعية . لكن السؤال هو:

١. لماذا لم نسمع عن هذه العلوم و التكنولوجيات حتى الآن رغم ظهورها إلى العلن منذ الستينات من القرن الماضي ؟
٢. لماذا لم ندرسها في المدارس و الجامعات ؟ لماذا لم نراها على وسائل الإعلام ؟ ما هي الجهات التي تقف عائقاً أمام انتشار هذه العلوم ؟ و لماذا ؟ و من هو المستفيد ؟ من له مصلحة في إبقائنا على ما نحن عليه ، كائنات غبية مفرغة العقول , سهلة الانقياد ، أهداف سهلة لا حول لها و لا قوة ؟ الطاقة العقلية
٣. جميع هذه المذاهب ، رغم اختلافاتها العديدة في التوجه و طريقة البحث والتفكير ، و رغم استخدامها لمصطلحات خاصة بها (لكل مذهب تسمياته الخاصة) مما زاد الفجوة التي عملت على ابتعاد هذه المذاهب عن بعضها لدرجة العداوة و التهجّم في بعض الأحيان، نرى أنها تلتقي جميعاً في استنتاج مشترك يجمع بينها.

تتجلى هذه الاستنتاجات بما يلي :

- أن هذه الظواهر الغير مألوفة تخضع لقوانين طبيعية خاصة بها ، مخالفة للمفاهيم العلمية السائدة . هذا جعل رجال العلم المنهجي عاجزون عن

استيعابها و فهم طريقة عملها . لأنهم رجال ينتمون إلى منهج علمي يعتمد على منطق مختلف عن المنطق الذي يحكم هذه الظواهر ، مما جعلهم يواجهون صعوبة في صياغة نظريات صحيحة حول طريقة عملها.

- يمكن لهذه القدرات العقلية أن تعمل خارج حدود زمنية و مكانية محددة . فهي متناقضة تماماً مع القوانين النيوتونية التي وضعت حدود ثابتة للمكان و الزمان.
- المظاهر التي تميّزت بها هذه القدرات قامت بدحض جميع النظريات التي اعتمدت في تفسيرها لها على عناصر مثل ، موجات ، ذرات و جزيئات ، قوى ، حقول ، و غيرها من عناصر علمية تقليدية أخرى. (لكن يتم استخدام هذه المصطلحات من أجل وصف مجريات عمل هذه القدرات ، و ليس من الضرورة أخذ هذه المصطلحات بحرفية الكلمة) .
- هذه القدرات لا تتأثّر بالقوى الفيزيائية المعروفة : القوة النووية الشديدة ، القوّة النووية الضعيفة ، قوّة الجاذبية ، القوّة الكهرومغناطيسية ، هذه القدرات لا تنتمي و لا تخضع لأي من القوانين الطبيعية المعروفة مثل : قانون الديناميحراري ، أو قانون الجاذبية.
- هذه القدرات لا تتطلّب عملية تذبذبات الطاقة أو تبدلاتها في عملية التاثير عن بعد فعملية اختفاء عملة نقدية مثلاً ، تتطلّب بالمفهوم الفيزيائي التقليدي

، طاقة قنبلة نووية صغيرة تقوم بمحوها عن الوجود . أما القدرات العقلية ، فطريقتها تختلف تماماً.!

- هذه القدرات العقلية لا تتوافق مع النظرية النسبية التي تقول بأنه لا يمكن للمادة أن تسافر بسرعة تفوق سرعة الضوء ، أي ١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية . بل يبدو أن سرعتها لحظية ! أي أسرع من الضوء بكثير.!
- جميع المظاهر التي تميّزت بها هذه القدرات ، و التي تتناقض مع المفهوم العلمي المعاصر ، دفعت الباحثين إلى التوجه نحو مجالات أخرى ، خارجة عن حدود المنهج العلمي التقليدي ، في سبيل إيجاد تفسيرات مناسبة لها.
- وتبين أن هذه الحالات الدماغية هي ذاتها التي يتصف بها دماغ المتصوّف أثناء دخوله في حالة البحران (النشوة الروحية) ، و كذلك العرافين و المستبصرين الذين يدخلون في حالة شبه غيبوبة (غشية أو شرود (ليأتوا بمعلومات غيبية ، و كذلك النائمين مغناطيسياً ، و محضري الأرواح الذين يدخلون في حالة غيبوبة كاملة ، و المتأملين الروحيين (اليوغا و التشيكونغ و غيرها من مذاهب تأملية) أثناء دخولهم في حالة التأمل و التفكّر و التركيز ، والمقنقنين الذين يبحثون عن المياه و المعادن الدفينة بواسطة قضيب الرمان أو أي وسيلة الأخرى ، و حتى الذين يستخدمون التعاليم السحرية و يقرؤون النصوص المختلفة (الأقسام و الدعوات و الصلوات) و يكررونها عشرات المرات ، فيدخلون في حالة " ألفا " الدماغية و ينجزون

بعض الأعمال السحرية و يظنون أن السرّ هو في النصوص و أسماء الآلهة المقدسين و الملائكة التي يتلونها و يكررونها مئات المرات ، ويجهلون أن عملية تكرار عبارات محددة مهما احتوته من كلمات ، تساعد الدماغ على الوصول إلى حالة " ألفا " الدماغية ، و إذا قاموا بالتعداد من ١ إلى ١٠٠٠ تكون النتيجة واحدة .

- جميع الحالات التي ذكرناها سابقاً (البحران ، الغشية ، الغيبوبة ، التامّل ، ...) يشار إليها بحالات الوعي البديلة (درجات متفاوته من الوعي) . هذه الحالة الأخرى من الوعي تختلف تماماً عن حالة الوعي الطبيعية التي يتمتع بها الشخص . يمكن أن يدخلها الفرد طوعاً (كما العرافين و المتأملين) ، أو نتيجة عامل خارجي) كما نوم المغناطيسي نتيجة إيحاءات المنوّم) ، و يمكن أن تحصل بشكل تلقائي (كما حالة الغيبوبة التي يدخلها الشخص فجأة دون تحضير سابق أو ظهور أحلام تنبؤية أثناء النوم العادي).

الفرق بين الذين يتمتعون بقدرات فكرية خارقة و الإنسان العادي هو ليس لأنهم موهوبون يتلك القدرات دون غيرهم . بل يعود السبب إلى قدرتهم على الدخول في حالة وعي بديلة بسهولة تفوق قدرة الإنسان العادي . السرّ يكمن في القدرة على الدخول إلى ذلك المستوى من الوعي . و ليس بالطاقة الخارقة التي نتوهّم وجودها في جوهرهم . و يمكن لأي إنسان أن يتوصّل إلى هذه المرحلة من التحكم بحالة الوعي عنده ، بعد الخوض في تدريبات محددة تساعده على ذلك.

لكن قبل استيعاب هذه الفكرة جيداً ، وجب علينا أولاً تعريف الوعي: سوف نقوم ببحث مجال القدرات العقلية بشكل مفصّل في الموضوع القادم ، و سوف نتعرّف على السبب الذي جعل هذه العلوم تتعرّض لحملات شرسة من قبل جهات كثيرة عملت على إخمادها و التآمر على الباحثين فيها و إخفاء نتائج الدراسات التي تناولتها ... و حرمان الشعوب منها ، فقط لأنها منافية لمصالحهم الدنيوية المختلفة.